من أشراط الساعة الكبرى

خراب الكعبة

(هدم الكعبة)

تصنيف

محمد بن ابراهيم الشيباني

مكتبة ابن تيمية

الكويت

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م

مكتبة ابن تيمية
شارع ابن خلدون - عمارة القاضي
ص.ب ٣٣٠٦٣ الروضة - تلفون: ٢٦٤٠٠٣٦

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء : ١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠-٧١] .

اما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .



مقدمة

إن تعظيم شعائر الله سبحانه وتعالى من تقوى القلوب كما قال عز من قائل ﴿ **ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب** ﴾ . ولا يعرف هذه الحقيقة إلا المتقون أصحاب التقوى والقلوب المعظمة لكل صغيرة وكبيرة من شعائر الله . ولم نسمع أو نقرأ في القديم أو الحديث عن إنسان أتقى الله وعظم شعائره كانت حلالاً أحلّه أو حراماً حرّمه إلا ورشد ووفق إلى أسعد حال وأطيب عيش وأنقى قلب .

من هذا المنطلق ركزت من فترة ليست بالقصيرة على موضوع أشراط الساعة الكبرى ، والمحن التي ستصاب بها الأمة ، ثم الابتلاءات التي سيبتلى بها المسلمون في المستقبل ، بدءاً من خروج المهدي : محمد بن عبد الله ، إلىظهور المسيخ الدجال ، إلى فتح القسطنطينية، ثم نزول المسيح عيسى عليه السلام ؛ فرأيت أن تذكير الأمة المحمدية بما أخبر به نبيها من الإخبارات المستقبلية الصحيحة واجب يمليه عليّ ديني تجاه إخواني المسلمين لتثبيتهم على الطاعة ، ولصقهم بحديث نبيهم المعجز الذي ﴿ **لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى** ﴾ .

ومن فوائد هذه الشعائر وعظمتها أنها من الإيمانيات المقربة لرب العباد والداعية إلى التعلق بحبله المتين .

والكعبة من أعظم شعائر الله تعالى ، ومن أحق ما يُعظم . كيف لا وهي قِبلة كل مسلم مؤمن بالله ، فقد عظمتها أممٌ قبل أمة الإسلام ؛ الجراهمة ، العماليق ، الروم ، أهل الجاهلية ، وأمم أخرى .

هذا البيت الذي عظمه الله سبحانه بأن جعله قبلة للطائفين لا بد للمسلم أن يجدد معرفته وعهده به ، وبالأدوار التاريخية التي مرت به ، وعجائب قدرة

الله فيه ، وبمراحل بنائه ، والحوادث التي حصلت له ، والتي ستحصل له في المستقبل ، وما فيها من الآيات الباهرات لتزيد في الصالحين حبه وتعظيمه ، وتذكره باستمرار بالحنين إليه في حج أو عمرة ؛ لأن في القرب منه تقرباً إلى من اقترن اسمه به وهو الله سبحانه وتعالى « بيت الله » .

ولكن ، وفوق ذلك كله فإن البيت ليس بأغلى عند الله تعالى من دم العبد المسلم ؛ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « لزوال الكعبة أهون عند الله من إراقة دم عبد مؤمن » وكما قال في حديث آخر : « لزوال السموات والأرض أهون عند الله من إراقة دم عبد مسلم » .

لذا فإن من أهم ما ينبغي على العبد المسلم إصلاح دينه ودنياه ؛ فبصلاح دينه صلاح أحواله جميعها ، وبالتصديق بخبر المصطفى ﷺ حياة للقلوب ، وبالتذكير بها استعاذة من الشرور التي ستحدثها الفتن ، والعلم بها واجب للاستعداد وللاتقاء منها ومن شرها ، كما قال أحدهم : عرفت الشر لا للشر ولكن مخافة أن أقع فيه .

معنى الكعبة

سميت الكعبة كعبة ، لأنها مكعبة على خَلق الكعب ، وقيل التكعيب التربيع ، وكل بناء مربع كعبة ، وقيل : سميت لارتفاع بنائها ، وكل بناء مرتفع فهو كعبة .

تعظيم الكعبة

وليست أمة في الأرض إلا وهي تعظمُ ذلك البيت ؛ وتعترف بقدمه وفضله ، وأنه من بناء إبراهيم (عليه السلام) حتى اليهود والنصارى والصابئة ، والمجوس . وقد قيل إن زمزم سميت بزمزمة اليهود والمجوس ، فأما الصابئون فهو بيت عبادتهم لا يفخرون إلاّ به ولا يتعبدون إلا بفضله .

موقع الكعبة من الأرض

إن أول ما خلق الله في الأرض ، مكان الكعبة - هكذا تقول الروايات التي نقلت إلينا كما ذكر ذلك أكثر من ألَّف فيالتاريخ أمثال : الطبري ، وابن الجوزي ، وابن كثير ، وغيرهم كثير - ثم دحا الأرض من تحتها فهي سُرّة الأرض ، ووسط الدنيا ، وأم القرى ، أولها الكعبة ، وبكة حول مكة ، وحول مكة الحرم ، وحول الحرم الدنيا .

يقول ابن عباس رضي الله عنهما : لما كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السموات بعث ريحاً فصفقت الماء فأبرزت عن خسفه في موضع البيت كأنها قبة

فدحا الأرض من تحتها ، فمادت ، فأوتدها بالجبال ، كما قال رب العزة ﴿ **والجبال أوتاداً** ﴾ لحماية الأرض عن الميدان .

والخسفة واحدة الخسف : تنبت في البحر نباتاً .

موضعها الآن في وادي إبراهيم عليه السلام .

يقول الدكتور حسين كمال الدين رئيس قسم الهندسة المدنية بكلية الهندسة بجامعة الرياض : إنه توصل إلى ما يشبه النظرية الجغرافية التي تؤكد أن مكة المكرمة هي مركز اليابسة في الكرة الأرضية - أي مركز الأرض - . وقد توصل إلى هذه النظرية بعد بحث وعمل دام سنوات مع علماء من مصر وغيرها [1].

ويقول الباحث نفسه في موضع آخر[2]: ومما يجدر ذكره في هذه المقدمة ، أنني بعد ما وضعت الخطوط الأولى في هذا البحث ، ورسمت عليها القارات الأرضية ، وجدت أن مكة هي مركز لدائرة تمر بأطراف جميع القارات ، أي أن الأرض اليابسة على سطح الكرة الأرضية موزعة حول مكة المكرمة ، توزيعاً منتظماً ، وأن مدينة مكة المكرمة في هذه الحالة تعتبر مركزاً للأرض اليابسة ، وصدق الله العظيم ، إذ يقول : ﴿ **وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً ، لتنذر أم القرى ومن حولها ، وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه** ﴾ . «الشورى : ٧»

وقال : ولقد لاحظنا عندما رسمنا دائرة مركزها مدينة مكة المكرمة ، وحدودها خارج القارات الأرضية السبع ، أن محيط هذه الدائرة يكاد يدور مع حدود القارات الخارجية . وذلك يعني أن موقع مدينة مكة المكرمة هو مركز

---

(١) ذكرت ذلك جريدة الوطن الكويتية قبل ثماني سنوات مضت .

(٢) مجلة البحوث الإسلامية - مكة المكرمة ، عدد / شوال ، ذي القعدة ، ذي الحجة ١٣٩٥هـ والمحرم ، صفر ، ربيع الأول ١٣٩٦هـ .

الأرض اليابسة على سطح الكرة الأرضية .

﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾ . «البقرة : ١٤٣»

البيت موجود قبل بعثة إبراهيم عليه السلام

يقول تعالى على لسان إبراهيم : ﴿ **ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ..** ﴾ «إبراهيم:٣٧».

يقول القرطبي (٩:٣٧١) المائدة :

« يدل على أن البيت كان قديماً على ما روي قبل الطوفان ، وقد مضى هذا المعنى في سورة « البقرة : ١٢٠/٢» . وأضاف البيت لأنه لا يملكه غيره ، ووصفه بأنه محرّم ، أي يحرم فيه ما يستباح في غيره من غير جماع واستحلال . وقال القرطبي ، رحمه الله ، في موضع آخر من نفس الجزء من سورة البقرة : في قوله تعالى : ﴿ **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم** ﴾ . القواعد : أساسه ؛ في قول أبي عبيدة والفَرَّاء . وقال الكسائي : هي الجدد . والمعروف أنها الأساس . وفي الحديث : « إن البيت لما هدم أخرجت منه حجارة عظام » ، فقال ابن الزبير : هذه القواعد التي رفعها إبراهيم عليه السلام ، وقيل : إن القواعد كانت قد اندرست فأطلع الله إبراهيم عليها . يقول ابن عباس : وضع البيت على أركان رآها قبل أن تخلق الدنيا بألفي عام ثم دحيت الأرض من تحته .

والقواعد واحدتها قاعدة . والقواعد من النساء واحدها قاعد .

وقال القرطبي في قوله تعالى : ﴿ **جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس** ﴾ «المائدة:٩٧» . جعل هنا بمعنى خلق ، وقد سميت الكعبة

كعبة ، لأنها مربعة ، وأكثر بيوت العرب مدورة .

ويقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى : ﴿ **وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً** ﴾ «البقرة:١٢٦» . أي : اجعل هذه البقعة بلداً آمناً ، وناسب هذا لأنه قبل بناء الكعبة .

وقال تعالى في سورة إبراهيم : ﴿ **وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً** ﴾ كأنه - والله أعلم - وقع دعاءً مرة ثانية بعد بناء البيت واستقرار أهله به وبعد مولد إسحق الذي هو أصغر سناً من إسماعيل بثلاث عشرة سنة ؛ ولهذا قال آخر الدعاء ﴿ **الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحق إن ربي لسميع الدعاء** ﴾ .

وأما في قوله تعالى ﴿ **ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم** ﴾ «إبراهيم : ٣٧» .

يقول ابن كثير : « وهذا يدل على أن هذا دعاء ثانٍ بعد الدعاء الأول الذي دعا به إبراهيم عليه السلام عندما ولّى عن هاجر وولدها ، وذلك قبل بناء البيت ، وهذا كان بعد بنائه تأكيداً ورغبة إلى الله عز وجل ، ولهذا قال : « عند بيتك المحرم » .

وأما الآلوسي رحمه الله تعالى فيقول في قوله تعالى : « عند بيتك المحرم » : « ... وسماه عليه السلام بيتاً باعتبار **ما كان** فإنه كان مبنياً قبل » . بجانب أقوال كثيرة ذكرها .

بناء الكعبة - شرفها الله - ومراحله «عمارتها»

أولاً : عهد آدم عليه السلام ☆

لا نملك في الحقيقة نصاً صحيحاً قاطعاً في هذه المرحلة يثبت لنا ذلك ، إلا أن هناك نصوصاً إسرائيلية تبين بعض تلك المراحل ، ونحن نأخذ بهذه الروايات من باب قول النبي ﷺ : « حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج . لا تكذبوهم ولا تصدقوهم » . وحيث إن هذه الروايات ليست تعبُّدية إنما إخبارية فنحن نأخذ بها من هذا المنطلق فقط .

قال وهب بن منبه : لما أهبط الله عز وجل آدم ، عليه السلام ، من الجنة إلى الأرض حزن واشتد بكاؤه عليها فعزاه الله بخيمة من خيامها فجعلها له بمكة في موضع الكعبة قبل أن تكون الكعبة وكانت ياقوتة ، حمراء . وقيل ذرة مجوفة من جوهر الجنة فيها قناديل من ذهب ، ونزل معها الركن يومئذ وهو ياقوتة بيضاء ؛ وكان كرسياً لآدم .

ويروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أنه قال : « خلق الله

☆ قال ابن كثير : « وذكر أبو الفرج ما ورد من الإسرائيليات في بنائه في زمن آدم ولا يصح ذلك ، فإن ظاهر القرآن يقتضي أن إبراهيم أول من بناه مبتدئاً وأول من أسسه ، وكانت بقعة معظمة قبل ذلك ، معتنى بها ، مشرفة في سائر الأعصار والأوقات . قال الله تعالى : ﴿ **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً** ﴾ وثبت في الصحيحين عن أبي ذر قال : قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول ؟ قال : « المسجد الحرام »قلت : ثم أي ؟ قال : « المسجد الأقصى » قلت : كم بينهما ؟ قال : « أربعون سنة » .
وقد قيل : إن أول من بناه آدم وجاء في ذلك حديث مرفوع عن عبد الله بن عمرو وفي سنده ابن لهيعة وهو ضعيف ، وأقوى الأقوال أن أول من بناه الخليل عليه السلام .

البيت قبل الأرض بأربعين عاماً وكان غُثاءَةً على الماء »[1].

قال الزجاج : جعله غثاءً جففه حتى صيره هشيماً جافاً كالغثاء الـذي تراه فوق السيل .

وقـال أبو زيـد : غثـا المـاء يغثـو غثـواً وأغثـاه وغثـاء إذا كثر فيـه البعر والورق والقصب[2] .

ثانياً : الكعبة أيام الطوفان وعهد إبراهيم عليه السلام « عمارتها » .

فلما كان زمن الطوفـان رُفع ، ومكثت الأرض خراباً ألفي سنـة (مكان البيت) حتى أمر الله نبيه إبراهيم أن يبنيه فجاءت السكينة كأنها سحـابـة فيهـا رأس يتكلم[3]فبنى هو وإسماعيل البيت على مـا ظللتـه ، ولم يجعلا لـه سقفـاً ، وحرس الله آدم البيت بالملائكة »[4] .

---

(١) وروى غلبـاء بن أحمر عن عكرمـة عن ابن عبـاس قـال « كان مع نوح في السفينـة ثمـانون رجلاً معهم أهلوها وإنهم كانوا في السفينة مئة وخمسين يومـاً وإن الله وجـه السفينـة إلى مكـة فـدارت بالبيت أربعين يوماً ثم وجهها إلى الجودي فاستقرت عليه .. » ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ١١٦/١ .

ونقول في هذه الأحاديث التي لا نعرف مدى صحتها من سقمها كما قـال ابن كثير : « ونحن نـورد مـا نـورده من الـذي يسـوقـه كثير من كبـار الأئمـة المتقـدمين عنهم . ثم نتبـع ذلـك من الأحاديث بما يشهد له بالصحة أو يكذبه ويبقى الباقي مما لا يصدق ولا يكـذب وبـه المستعـان وعليه التكلان .

(٢) ذكره ابن منظور (لسان العرب ٩٥٩/٢) .

(٣) ولو صح فليس غريباً أن يكون في السحاب ملائكة كما جاء مشابه لذلك في حديث البخـاري : الرجل الذي سمع الملك في السحابة يقول لصاحبه اذهب إلى ضيعة فلان .

(٤) أما حراسة البيت من قبل الملائكة فهو ثابت في أحـاديث كثيرة منهـا : حـديث البخـاري (عن أنس) ٢٩/٣ فضائل المدينة « ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة » .

بعث الله إبراهيم عليه السلام ، فحفر قواعده ، وبناه على ظل الغمامة ، فهو أول بيت وضع للناس كما قال عز وجل . وكان الناس قبله يحجون إلى مكة وإلى موضع البيت حتى بوأ الله مكانه لإبراهيم لما أراد الله من عمارته وإظهاره دينه وشعائره فلم يزل البيت منذ أهبط آدم إلى الأرض معظماً تتناسخه الأمم والملل أمة بعد أمة وملة بعد ملة .

وبناء إبراهيم للبيت كان بلا باب ولا قفل ولا سقف ☆ .

وكان الطوب المستعمل وهو من حجر الدَّبش غير المنحوت بناء (رضماً) أي يضع الحجارة فوق الحجارة بدون ملاط من طين أو مدر أو قصة (نورة) الاسمنت اليوم .
والدبش : حجارة غير مشذبة تستعمل في أساس البناء مستوية .

ثالثاً : الكعبة وعمارتها أيام العمالقة وجرهم .

ثانية العمارات وثالثتها : عمارتا العماليق وجرهم ، ولوجود هاتين القبيلتين اليمانيتين في مكة ، في آن واحد ، اختلط الأمر في أيتهما قامت بأولى العمارتين على رواة الأخبار ، فمنهم من قال بسبق عمارة العماليق لجرهم ، ومن الرواة من قال بعكس ذلك . وأياً ما كان الأمر فالعمارتان ثابتتان للكعبة في كل عهد من عهدي القبيلتين : العماليق وجرهم .

وذكر الأزرقي عمارتي العمالقة وجرهم ذكراً عابراً خالياً من كل تفصيل ، فيقول عن البيت بعد بناء إبراهيم عليه السلام له : إن اسم بانيه للعمالقة هو « أبو الجدرة فسمي عمراً الجادر ، وسموا بني الجدرة » أ.هـ . وقد نص الشعر الجاهلي على بناء جرهم للبيت الحرام ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى المزني في معلقته الميمية :

☆ معجم البلدان ٤٦٤/٤ .

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم[1]

وقول ميمون بن قيس ؛ أعشى بني قيس بن ثعلبة :

فإني وثوبي راهب اللج والتي بناها قصي والمضاض بن جرهم[2]

مساحة الكعبة وأطوالها وعرضها .. وصفتها وبناؤها

طول الكعبة أربعة وعشرون ذراعاً وشبر . وعرضها ثلاثة وعشرون ذراعاً وشبر ، وذرع دور الحجر خمسة وعشرون ذراعاً ، وذرع الطواف مئة ذراع وسبعة أذرع ، وسمكها في السماء سبعة وعشرون ذراعاً ، والحجر من قبل الشام فيه يقلب الميزاب شبه الأندر ، بناه إبراهيم عليه السلام ، وجعل أساسه من سبعة أجبل ، ويقال من خمسة أو من أربعة ، وكانت الملائكة تأتي بالحجارة إلى إبراهيم من تلك الجبال .

وروي عن مجاهد أنه قال : « أسس إبراهيم زوايا البيت من أربعة أحجار : حجر من الجودي الذي بأرض الموصل ، وهو الذي استقرت عليه سفينة نوح ، وروي أن قواعده خلقت قبل الأرض بألفي سنة ، ثم بسطت الأرض من تحت الكعبة .

وعن قتادة : بنيت الكعبة من خمسة جبال من طور سيناء وطور زيتا وأحد ولبنان وثبير ، وجعلت قواعدها من حراء ، وجعل إبراهيم طولها في السماء سبعة أذرع ، وعرضها في الأرض اثنين وثلاثين ذراعاً من الركن الأسود إلى الركن الشمالي الذي عنده الحجر ، وجعل ما بين الركن الشامي إلى الركن الذي فيه الحجر اثنين وثلاثين ذراعاً ، وجعل طول ظهرها من الركن العراقي

---

(1) جرهم : حكموا مكة قبل حكم خزاعة التي أخذت قريش منها ولاية البيعة ومكة بعد قرون . وحكم خزاعة لمكة « ٣٠٠ » عام لم يذكر لها عمارة للبيت .

(2) و : عطف في اللغة لا تقتضي الترتيب الزمني فيما عطف بها .

إلى الركن اليماني واحداً وثلاثين ذراعاً ، وجعل عرض شقها اليماني من الركن الأسود إلى الركن اليماني عشرين ذراعاً .

السيل الذي هدمها في الجاهلية (وعمارتها ثانية في الجاهلية)

وبقيت الكعبة على هيئتها من عمارة إبراهيم عليه السلام إلى أن بلغ نبينا خمساً وثلاثين سنة من عمره جاء سيل عظيم فهدمها [١] . فتشاورت قريش واجتمعت وأجمعت على عمارتها ، وكان البحر رمى بسفينة (بجُدّة)[٢] فتحطمت فأخذوا خشبها فاستعانوا به على عمارتها .

وكان بمكة رجل قبطي نجار فسوّى لهم ذلك وبنوها ثمانية عشر ذراعاً . فلما انتهوا إلى موضع الركن اختصموا وأراد كل قوم أن يكونوا هم الذين يضعونه في موضعه ، وتفاقم الأمر بينهم حتى تواعدوا (للقتال) ثم تحاجزوا وتناصفوا على أن يجعلوا بينهم أول طالع يطلع من باب المسجد يقضي ، فخرج عليهم النبي ﷺ ، فاحتكموا إليه فقال : هلموا ثوباً ، فأتي به فوضع الركن فيه ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ليرفعوا ، حتى إذا رفعوه إلى

---

(١) وقيل من أثر تبخير امرأة قرشية لها . وقيل تظافر الحريق والسيل والمطر على إضعاف جدران الكعبة .

(٢) كان يسمى « الشعيبة » ، كان ميناء رئيس لمكة ثم ترك .
الشُعيبة : قرية على شاطىء البحر ، مرفأ السفن من ساحل البحر الأحمر ، انظر ياقوت : معجم البلدان ، ٣٥١/٣ ، البغدادي : معجم ما استعجم ، ٨٠٢/٣ ، أوضح الحضراوي هذه المسألة في كتابه المخطوط الموسوم « بالدرر المنظمة في أخبار مكة المكرمة » حيث بين أن تحويل مرفأ مكة إلى جدة تم في سنة ٢٦هـ ، وذلك بسبب قرب جُدّة إلى مكة ، وناقش الحضراوي رواية تفيد أن جدة كانت المرفأ حتى قبل الإسلام بدليل أن صفوان بن أمية خرج إلى جُدّة يريد النزول إلى اليمن حتى أمّنه الرسول ﷺ ، وينتهي صاحب « الجواهر » إلى أن جُدّة كانت ساحلاً حتى أوئل خلافة عثمان ومن ثم تخلى عنها لفترة محدودة ، وأعادها ساحلاً مرة أخرى . انظر الحضراوي : « الجواهر المعدة » ، لوحة ١١ أ ، السيد الفاسي : شفاء الغرام ، ٨٧/١ ، وانظر رسالة جار الله بن فهد ، لوحة ١٩٣ . د. محمد صالحية : رسالة في تاريخ مدينة جدة » دار الحداثة . لبنان ط١ . ١٩٨٣) .

موضعه أخذ النبي ﷺ ، الحجر بيده فوضعه في الركن فرضوا بذلك وانتهوا عن الشرور . ورفعوا بابها عن الأرض مخافة السيل وأن لا يدخل فيها إلا من أحبّوا ، وبقوا على ذلك إلى أيام عبد الله بن الزبير .

هدم الكعبة أيام عبد الله بن الزبير وبناؤها

وأما سبب بناء ابن الزبير رضي الله عنهما فهو أن الحصين بن نمير السكوني[1] لما قدم ومعه الجيش ، من قبل يزيد بن معاوية رحمهما الله تعالى لقتال ابن الزبير ، جمع ابن الزبير أصحابه ، وتحصن بهم في المسجد حول الكعبة ، ونصب فيه خياماً يستظلون بها من الشمس .

وكان الحصين قد نصب المجنيق على الأخشبين ، وهما أبو قبيس والأحمر[2] الذي يقابله ، وصار يرمي على ابن الزبير وأصحابه ، فتصيب الأحجار الكعبة ، فوهنت لذلك وتخرقت كسوتها عليها .

ثم إن رجلاً من أصحاب ابن الزبير أوقد ناراً في بعض تلك الخيام مما يلي الركنين اليماني والأسود ، والمسجد يومئذ صغير فهبت ريح شديدة ، والكعبة يومئذ مبنية بناء قريش مدماك - الصف من اللبن والحجار في البناء - ساج ومدماك من حجر ، فطارت شرارة من تلك النار ، وتعلقت بكسوة البيت ، فاحترقت ، واحترق الساج الذي بين البناء ، فازداد التصدع ، وضعفت الجدران ، وتصدع الحجر الأسود أيضاً حتى شده ابن الزبير بالفضة ففزع كل من الفريقين - النمير والزبير - فدعا ابن الزبير حينئذ وجوه الناس واستشارهم في هدم الكعبة ، فأشار عليه القليل وأبى الكثير ، وكان أشدهم إباء عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وقال له :

---

(١) الحصين بن نمير مات سنة ٦٧هـ قائد شديد في العصر الآموي ، قاتل مع عبيد الله بن زياد - الأشتر وقتل مع ابن زياد .

(٢) الأخشبان : جبلا أبي قبيس وقعيقعان (الأحمر) .

دعها على ما أقرها عليه رسول الله ﷺ ، فإني أخشى أن يأتي بعدك من يهدمها ، فلا تزال تهدم وتبنى فيتهاون الناس بحرمتها ، ولكن ارقعها .

فقال ابن الزبير : والله ما يرضى أحدكم أن يرقع بيت أبيه وأمه ، فكيف أرقع بيت الله . واستقر رأيه على هدمها رجاء أن يكون هو الذي يردها على قواعد الخليل عليه السلام لقوله ﷺ لعائشة رضي الله عنها : « لولا حداثة قومك بالكفر ، لنقضت البيت ، فبنيته على أساس إبراهيم ، وجعلت له خلفاً ، فإن قريشاً لما بنت البيت استقصرت »[١] .

فلما كان يوم السبت النصف من جمادي الآخرة ، أمر بهدمها . وكان ذلك سنة أربع وستين من الهجرة وقيل : سنة خمس وستين . فلم يجترىء على ذلك أحد . وخرج أهل مكة - فأقاموا بها ثلاثاً خوفاً من أن ينزل عليهم عذاب بسبب ذلك ، وخرج ابن عباس إلى الطائف . فلما رأى ذلك ابن الزبير ، علا بنفسه ، وأخذ المعول وجعل يهدمها . فلما رأوا أنه لم يصبه شيء ، صعدوا معه ، وهدموا ، وأرقى ابن الزبير عبيدا من الحبش يهدمونها رجاء أن يكون فيهم صفة الحبشي الذي قال فيه عليه السلام « يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة » رواه البخاري . ثم حفر الأساس من نحو الحجر (بالكسر) ليقف على قواعد إبراهيم ، فلم يصب شيئاً ، فشق عليه فبالغ في الحفر ، ونزل بنفسه فكشفوا له عن قواعد إبراهيم ، فإذا هي صخر أمثال الخلفِ من الإبل (الخلف كالكتف : المخاض ، وهي الحوامل من النوق)[٢].

وفي رواية ، فذلك الذي حمل ابن الزبير على هدمه ، « وقال يزيد بن رومان : وقد شهدت ابن الزبير حين هدمه وبناه وأدخل فيه الحجر ، وقد رأيت أساس إبراهيم عليه السلام حجارة متلاحمة كأسنمة الإبل متلاحكة » رواه أحمد وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة .

---

(١) رواه أحمد والنسائي وهو صحيح وذكره ناصر الدين الألباني في صحيح الجامع الصغير .
(٢) الواحدة خِلفة بوزن نِكرة .

لم يذكر أحد من الذين هدموا الكعبة مع الزبير أو غيرهم « الكنز » ، من الصحابة أو من المشهورين من العلماء .

● دامت خلافة الزبير بمكة شرفها الله من سنة ٦٣ إلى سنة ٧٣هـ نحواً من عشر سنوات بسط نفوذه خلالها على أكثر أمصار الإسلام .

● قتل في ١٧ من جمادى الأولى سنة ٧٣هـ .

● جاءه حجر من حجارة المنجنيق ، فضربه ضربةً فصرعه .

● امر الحجاج بابن الزبير فصلب على ثنية كدا عند الحجون بأعلى مكة (وهما يقعان في نهاية مكة من جهة المسفلة الآن) .

القتال في مكة وحرق الكعبة :

ما إن انتهت واقعة الحرة في المدينة (التي اتهم يزيد بن معاوية بافتعالها بلا دليل) في أواخر عام ٦٣هـ حتى صدر أمر يزيد إلى قائده مسلم بن عقبة (لقب بمسرف بن عقبة) أن يتوجه في جيشه إلى مكة لقتال ابن الزبير فسار إليها . ولما كان في بعض الطريق أدركته الوفاة فأوصى بقيادة الجيش إلىالحصين بن نمير (الكوفي) فتولاه واستأنف سيره حتى انتهى إلى مكة في أواخر المحرم سنة أربع وستين ونزل في ظاهرها . وخرج إليه ابن الزبير في جموعه من مكة وبعض القبائل من أطرافها ، وعدد ممن التحق به من أشراف المدينة ، وبدأت المناوشات والتقى المتبارزون من الفريقين وظل شأنهم كذلك حتى بدأ لجند الشام نصب المجانيق ؛ فنصبوها في ٣ ربيع الأول سنة ٦٤هـ ، ورموا الكعبة بالنِفط والحجارة حتى احترقت كسوتها ، وتصدعت حيطانها .

وليست الكعبة كانت مقصودة لذاتها بالرمي ، لأننا نعلم تمام العلم أن جيش الشام كان يستقبلها في صلاته ولا يرمي الكعبة رجل يصلي إليها ولا يرضى أن يقذفها بالحجارة كما في رأي بعض المؤرخين أو بالنار كما في رأي بعضهم الآخر .

يقول المؤرخ أحمد السباعي[1] :

« والذي أستطيع أن أستنتجه أن ابن الزبير كان يعوذ بها ويحتمي خلفها ، فبدا للجيش أن يصيبه من ورائها وقد فعل ، فنالت الأحجار بعض أركانها . ويذكر بعض المعتدلين من الرواة أن أصحاب ابن الزبير كانوا يوقدون النار وهم حول الكعبة فعلقت النار في بعض أستارها فسرت إلى أخشابها وسقوفها فاحترقت . وهي رواية أقرب في اعتدالها إلى الواقع مما عداها من روايات التهويل والتشنيع » .

وأما ما ذكره الإمام الطبري في تاريخه ، ونقله الدكتور حمد العرينان في كتابه القيم « حريق الكعبة ، واستباحة المدينة في عهد يزيد بن معاوية »[2] فهو إحدى روايات ثلاث نذكرها هنا للعلم والفائدة :

☆ **الأولى :** يقول عروة بن أذينة : « قدمت مكة مع أمي يوم احترقت الكعبة وقد خلصت إليها النار ورأيتها مجردة من الحرير ، ورأيت الركن قد اسود وانصدع في ثلاثة أمكنة ، فقلت : ما أصاب الكعبة ؟ فأشاروا إلى رجل من أصحاب عبد الله بن الزبير قالوا : هذا احترقت بسببه ، أخذ قبساً في رأس رمح له فطيرت الريح به فضربت أستار الكعبة ما بين الركن اليماني والأسود » .

☆ **الثانية :** عن الواقدي تقول : « كانوا (أصحاب ابن الزبير) يوقدون حول الكعبة فأقبلت شرارة هبت بها الريح فاحترقت ثياب الكعبة ، واحترق خشب البيت » .

☆ **الثالثة :** على لسان عوانة بن الحكم تقول : « ... حتى إذا مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الأول يوم السبت سنة ست وستين قذفوا البيت بالمجانيق وحرقوه بالنار » .

---

(١) تاريخ مكة .

(٢) كنت قد نشرته وعلقت عليه من فترة ليست بالقصيرة وطبعته مكتبة ابن تيمية بالكويت .

يقول الدكتور حمد العرينان : « فلا يوجد عند الطبري سوى رواية عوانة بن الحكم التي تتهم الجيش الأموي بحرق الكعبة .. وهي رواية لا تستطيع الصمود أمام التحقيق التاريخي نظراً لمعارضة روايتي الواقدي وعروة ابن أذينة لها ، اللتين إن اختلفتا في التفاصيل إلا أنهما تتفقان في أن سبب الحريق كان ناتجاً عن معسكر ابن الزبير هذا إلى جانب أن أبا مخنف ، زعيم المدرسة العراقية عند الطبري ، وراوية أحداث هذه الفترة ، والذي لا يكن وداً لبني أمية ، لم يذكر شيئاً عن هذا الحريق . كما أن هناك ما يسند هذا الرأي من المعلومات التي تقدمها لنا المصادر الأساسية الأخرى .

ويقول الدكتور حمد في نهاية الكتاب : « وهكذا فاتهام الجيش الأموي بإحراق الكعبة اتهام لا يستند إلى براهين قاطعة لا تقبل الشك ، مثله اتهامهم بإباحة المدينة ثلاثة أيام يقتلون الرجال وينهبون المال وينتهكون الأعراض . وعلى الرغم من هذا نجد الكثير من المؤرخين المحدثين - كما بينا - يقدمونها لنا على أنها حقائق ، ومن هذا المنطلق فضرورة النظر فيما كتب عن تاريخنا أصبحت لازمة » .

ثم إننا نرى بعد ذلك من تألم عبد الملك بن مروان عندما هدم الكعبة ، وندمه على فعله هذا ، وذلك عندما أخبره أحد الصحابة الذين سمعوا حديث النبي ﷺ من عائشة رضي الله عنها . فقد روى مسلم وأبو نعيم عن عبد الله بن عبيد قال : « وَفَد الحارث بن عبد الله على عبد الملك بن مروان في خلافته ، فقال عبد الملك : ما أظن أبا حبيب (يعني ابن الزبير) سمع عائشة ما كان يزعم أنه سمعه منها ، قال الحارث : بلى أنا سمعته منها قال : سمعتها تقول ماذا ؟ قال : قالت : قال رسول الله ﷺ : (فذكر الحديث) ، قال عبد الملك للحارث : أنت سمعتها تقول هذا ؟ قال : نعم ، قال : فنكث ساعة بعصاه ، ثم قال : وددت أني تركته وما تحمل » .

وفي رواية لهما عن أبي قزعة : « أن عبد الملك بن مروان بينما هو يطوف إذ قال : قاتل الله ابن الزبير يكذب على أم المؤمنين ، يقول سمعتها تقول

(فذكر الحديث) ، فقال الحارث بن عبد الله بن ربيعة : لا تقل هذا يا أمير المؤمنين ، فأنا سمعت أم المؤمنين تحدث هذا ، قال : لو كنت سمعته قبل أن أهدمه لتركته على ما بنى ابن الزبير »[١][٢].

وهذا المبحث طويل ومتشبع ولا تكفيه هذه العجالة ولا توفيه حقه ، ولعلنا في موضع آخر نفرد له بالتفصيل والبيان ومن الله تعالى نستمد العون .

غزو البيت المتكرر في الأزمان السابقة (المحن التي مرت به)

(١) عن صفية ، أم المؤمنين ، عن النبي ﷺ : « لا تنتهي الناس عن غزو هذا البيت ، حتى يغزو جيش ، حتى إذا كانوابالبيداء ، أو ببيداء من الأرض ، خسف بأولهم وآخرهم ، ولم ينج أوسطهم . قيل : فإن كان فيهم من يكره ؟ قال يبعثهم الله على ما في أنفسهم »[٣] .

(٢) وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ : « لا تنتهي البعوث عن غزو هذا البيت ، حتى يخسف بجيش منهم »[٤] .

---

(١) ذكره العلامة ناصر الدين في السلسلة الصحيحة ٧١/١ .

(٢) لما تمكن ابن الزبير بناها على ما أشار إليه رسول الله ﷺ وجاءت في غاية البهاء والحسن والسناء كاملة على قواعد الخليل . لها بابان ملتصقان بالأرض شرقي وغربي . يدخل الناس من هذا ويخرجون من الآخر . فلما قتل الحجاج ابن الزبير كتب إلى عبد الملك بن مروان - وهو الخليفة يومئذ - فيا صنعه ابن الزبير واعتقدوا أنه فعل ذلك من تلقاء نفسه ، فأمر بإعادتها إلى ما كانت عليه فعمدوا إلى الحائط الشامي فحصنوه وأخرجوا منه الحجر ورصوا حجارته في أرض الكعبة فارتفع باباها ، وسدوا الغربي ، واستمر الشرقي على ما كان عليه . فلما كان في زمن المهدي - أو ابنه المنصور استشار مالكاً في إعادتها إلى ما كان صنعه ابن الزبير ، فقال مالك رحمه الله : إني أكره أن يتخذها الملوك ملعبة . فتركها على ما هي عليه . فهي إلى الآن كذلك . ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٣٠٤/٢ ، ١٣٢/١٠

(٣) صحيح رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه (صحيح الجامع) .

(٤) صحيح رواه النسائي والحاكم .

(٣) وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ : « يغـزو هـذا البيت جيش فيخسف بهم بالبيداء » ☆ .

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله : « فيه إشـارة إلى أن غزو الكعبـة سيقع ، فمرة يهلكهم الله قبل الوصول إليها ، وأخرى يمكنهم ، والظاهر أن غزو الذين يخربونها متأخر عن الأولين » .

وقد وقع فيه القتال وغزو أهل الشام لـه في زمن يزيـد بن معـاويـة . ثم بعده في وقائع كثيرة من أعظمها وقعة القرامطـة بعـد الثلاثمئـة هجريـة فقتلوا من المسلمين في المطـاف مـا لا يحصى كثرة ، وقلعوا الحجر الأسـود فحـولـوه إلى بلادهم ، ثم أعادوه بعد مدة طويلـة ، ثم غُزي مراراً بعـد ذلـك ، وكل ذلـك لا يعارض قوله تعالى : « أولم يروا أنـا جعلنـا حرامـاً آمنـاً » لأن ذلـك إنما وقع بأيدي المسلمين فهو مطابق لقولـه ﷺ : « ولن يستحل هـذا البيت إلا أهلـه » ، فوقع ما أخبر به النبي ، وهو من علامات نبوتـه وليس في الآيـة مـا يـدل على استمرار الأمن المذكور فيها . والله أعلم .

ومن هذا نستخلص أن البيت لن يهـدأ من الغزو في أي زمن من الأزمـان سواء السابقة أو القادمة ، فقد مرت على البيت محن كثيرة من أعداء الله تعـالى ، ومن المجـانين ، والكثير من الجهلـة في الـدين والتـاريـخ ، على الرغم من العبر الكثيرة التي تضمنهـا الكثير من أحـاديث الرسـول ﷺ .. ولكن النـاس عن الاستفادة منها بعيدون وفي الجهل بها واقعون .

جيش أبرهة (موقعة الفيل)

وفي عهد عبد المطلب كانت واقعة الفيل .. وأصحـاب الفيل هم طغـاة من الأحبـاش كانـوا قـد زحفـوا على اليمن فـاستعمروا أهلهـا . ثم مـا لبث قـائـدهم

☆ صحيح رواه النسائي .

(أبرهة – أبا يكسوم) أن تَطلَّعَ إلى مد نفوذه على الحجاز ، كعبة العرب ، فشرع يناوىء مكانتها الدينية بإنشاء كعبة فخمة (سماها القُلَّيْس) آملاً أن تنصرف إليها أذهان العرب عن مكة فلم تنجح فكرته وظلت الكعبة على قدسيتها في نظر العرب ولكنهأبى إلا أن يضع حداً عملياً لنهايةهذا التقديس ، فجهز جيشاً عظيماً وسيره إلى مكة لهدم كعبتها ، فأصبحت قريش ذات يوم على أصوات المغيرين يتقدمهم فيل عظيم ، ولم يكن للعرب عهد بمثل ذلك فلم يسع عبد المطلب إلا أن ينادي في قريش أن يحجزوا إبلهم ويحموها ويتركوا أمر البيت « فإن للبيت رباً يحميه » ثم قام إلى باب الكعبة فأخذ بحلقة وهو يبتهل :

يا ربِّ لا أرجو لهم سوَاكا ... يا رب فامنع منهم حماكا
إن عدو البيت من عاداكا ... امنعهم أن يخربوا قُرَاكا

وقال أيضاً :

يا ربِّ إن المرء يمنع ... رحله فامنع حلالك
وانصر على آل الصليب ... وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبهم ... ومحالهم عَدْواً محالك
فلئن فعلت فربما ... أولى فأمرٌ ما بدالك
فلئن فعلتَ فإنه ... أمرٌ تُتمُّ به فَعالك
جَرُّوا جموع بلادهم ... والفيلَ كي يَسْبُوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم ... جهلاً وما رقبوا جلالك
فلئن تركتهم وكعـ ... بتَنا فوا حزني هناك ☆

ولقد حمى الله البيت بأبلغ ما تكون به الحماية ودفع عنه بأشد ما يكون الدفاع وأعظمه .

يقول تعالى : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل**

☆ ابن فهد – إتحاف الورى بأخبار أم القرى – طبع جامعة أم القرى .

كيدهم في تضليل ، فأرسل عليهم طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول ﴾[1] .

ومن أقوى الروايات عند المؤرخين أن دليل أبرهة إلى مكة كان من ثقيف وهو « أبو رِغَال » ، فمات في الطريق فقبره يرجم - وقيل إن النبي ﷺ أمر برجمه[2] .

قال جرير :

إذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر أبي رغال

ونفى الحجاج انتساب ثقيف إلى ثمود - وذلك في الرواية أنه من بقية ثمود - فقال : أما قال الله : ﴿ **أما ثمود فما أبقى** ﴾ [3].

وأثبتت الروايات : أنه رجل من ثقيف جاء مع جيش الفيل ليدلهم على الكعبة ، فأصابه العذاب فمات في رأس « يدعان » بين الشرائع والزيمة . ولما مر رسول الله ﷺ بقبره في غزاة الطائف رجمه ، فصار رجمه سنة[4] . وتوجد أحجار في رأس يدعان المتقدم اجتحف الطريق بعضها ولا زال البعض الآخر ماثلاً .

يقول المؤرخ عاتق البلادي : سألت رجلاً من هذيل مسناً عما يعرفه فقال : إنه أدرك من أخبره أن أهل القوافل كانوا يرجمون هذا المكان . ويقولون إنه شيطان . ولا شك أنه موروث ، ولكنه المتأخرين لم يحفظوا منه إلا هذا الرجم الذي توارثوه كابراً عن كابر ، فلما غم عليهم سببه ظنوه شيطاناً ، ذلك أنهم عندما يرجمون الحجار يسمونها الشياطين .

---

(١) سورة الفيل .

(٢) هذا ما اشتهر عند العامة ولا دليل .

(٣) وعندما وصل أبرهة الطائف طلب دليلاً فبعثت معه ثقيف أبا رغال . إتحاف الورى لابن فهد .

(٤) هذا ما تذكره بعض المصادر والله أعلم ، ولكنه اشتهر عند العامة فإلى وقت والناس ترجمه .

مربض الفيل وقصة غزو الكعبة

المُغَمَّس : موضع قرب مكة في طريق الطائف . وهو الموضع الذي ربض فيه الفيل « محمود » حين جاء أبرهة ، فجعلوا ينخسونه بالحراب فلا ينبعث ، حتى بعث الله عليهم طيراً أبابيل فأهلكتهم « قاله البكري » .

وأما قصة غزو أبرهة لمكة فهي قصة معروفة عند أهل العلم وكثير من الناس إلا أننا سنبين جانباً واحداً من هذه القصة العجيبة وهو الجانب الذي أهلك الله تعالى فيه أبرهة وجيشه وكيفيته .

يقول ابن فهد ☆ : « ... فلم يزالوا كذلك يعالجونه حتى إذا كان مع طلوع الشمس - ويقال حتى إذا غشيهم الليل - خرجت عليهم طيرٌ من البحر لها رؤوس مثل رؤوس السباع ، وخراطيم كأنها البُلْسُ (قال عباد بن موسى : أظنها الزرازير) ، شبيهة بالوطاويط -,قيل : اليحاميم ، جمع يحموم : وهو ضرب من الحمام يشبه الدبس إلا أنه أصغر منه ، أسود البطن والعنق والصدر ، وأصغر المنقار والرجلين - بُلْق حُمْر وسود ، لم تُرَ قبل ذلك ولا بعده ، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار ، بها نَضْح حُمْرَة مُخَتَّمة كأنها ظفار - خرز منسوب إلى ظفار - وهي مدحرجة كالبنادق مثل الحمص وأكبر من العدس - يحملها ، حجر في منقاره وحجران في رجليه .

فلما رأوها أشفقوا منها ، وسقط في أيديهم ، فقال أبرهة : ما تعجبكم من طير جَنَّها الليل إلى مساكنها ؟ فجاءت حتى صفت على رؤوسهم وصاحت ، وجعلت تعج عجيجاً ، وألقت ما في أرجلها ومناقيرها ، فما وقع حجرٌ على بطن إلا مزقه ولا عظم إلا أوهاه وفتّته ، ولا على رأس رجل إلا خرج من دُبرهِ ، ولا على شيء من جسد أحد إلا خرج من الجانب الآخر . ويقال : إن

☆ إتحاف الورى .

الحجارة لا تقع على أحد منهم إلا نفط جسده - ظهرت فيه بثور ملأى بالماء ، وقيل هي الجدري .

وقيل : إنه ما أصاب أحداً منهم الحجر إلا أخذته الحكة ؛ فكان لا يحك إنسان منهم جلده إلا تساقط لحمه . وقيل : إن من أصابه حجر جُدر ، وذلك أول ما كان الجدري .

لم ير قبلها . ويقال : إن فيل النجاشي[1] كان إذا قدم يربض فتقتدي به الفيلة ، فشجع منها فيل مخضب فرجعت الفيلة .

وبعث الله ريحاً شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة ، فأهلكوا جميعاً . وفي ذلك يقول عبد الله بن الزبعري :

تنكلوا عن بطن مكة إنها	كانت قديماً لا يرام حريمها
لم تخلق الشُّعرى ليالي حرمت	إذ لا عزيز من الأنام يرومها
سائل أمير الجيش عنها ما رأى	ولسوف ينبي الجاهلين عليمها
ستون ألفاً لم يئوبوا أرضهم	بل لم يعش بعد الإياب مقيمها[2]
كانت بها عادٌ وجرهم قبلهم	والله من فوق العباد يقيمها

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون بكل مهلك وعلى كل منهل ، وأصيب أبرهة في جسده ، وخرجوا به معهم تسقط أنامله أنملة أنملة ؛ كلما سقطت أنملة أتبعتها منه مدة تمد قيحاً ودماً ، حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطير ، فانصدع صدره عن قلبه وانشق بطنه فهلك .

---

(١) النجاشي وهرقل ، والمقوقس وفرعون كلها ألقاب حكومية كانت في تلك العهود إنما اختص كل حاكم بمن كان معه من دعاة الحق كفرعون موسى وهو رمسيس أو النجاشي الذي في عهد الرسول عليه السلام وهو أصحمة .. الخ .

(٢) في هذه الأبيات دلالة على أن جيش أبرهة لم يرجع منهم أحد .

أفعال القرامطة بالمسلمين

قد تمكنت من البيت الحرام القرامطة حتى أخذوا حجره الأسود الذي فيه كرامته ، وقد امتنع من أصحاب الفيل بالطير الأبابيل . قيل : إنما لم يمنع الله القرامطة من ذلك لأن الدعوة قد تمت ، والكلمة قد بلغت ، والبرهان قد قام ، والرسل قد تصرموا وانقضى مجيئهم ، وجاءت أمارات الساعة ، وهذا من أمارتها ، وقد وعدهم النبي ﷺ بنقض الكعبة وهدمها ومنع الحجر وقطع السلوك في البرية .

فكان هذا من أماراته وأعلامه ومعجزاته ، لأنه أخبر بذلك وهو قريب ، قال الله تعالى : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ وجاءت الآيات تتبع بعضها بعضاً ، وهذا منها حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وقال بعض المؤرخين : إن أبا الطاهر سليمان بن أبي سعد ، أمير القرامطة ، دخل مكة المشرفة ، فقتل من الحجاج كثيراً ، وكانوا يفرون [فيتعلقون] بأستار الكعبة فلا يجزي ذلك عنهم ، ويقتلون وهم كذلك ، ويطوفون فيقتلون في الطواف . وقد كان بعض أهل الحديث يومئذ يطوف ، فلما قضى طوافه أخذته السيوف ، فلما سقط إلى الأرض أنشد وهو كذلك :

ترى المحبين صَرْعى في ديارهم كفتية الكهف لا يدرون ما لبثوا ☆

ثم أمر القرمطي لعنه الله أن تدفن القتلى ببئر زمزم فدفنوا بها ، ودفن كثير منهم في أماكنهم في أزقة مكة وشعابها حتى في المسجد الحرام ، ويا حبذا تلك القتلة وتلك الضجعة ، ولم يغسلوا ولم يكفنوا ولم يُصل عليهم لأنهم شهداء في نفس الأمر .

☆ فمات رحمه الله ، البداية والنهاية ١١/١٦٠ .

وهدم القرمطي قبة زمزم ، وأمر بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها عنها ، وفرقها بين أصحابه ، وأمر رجلاً أن يصعد على ميزاب الكعبة ، فأراد ذلك الرجل أن يقتلعه من موضعه ، فسقط على أم رأسه فمات ، فانكف القرمطي الملعون عند ذلك عن الميزاب ، ثم أمر بقلع الحجر الأسود ، وجاءه رجل بمفتل[1] في يده وقال : أين الطير الأبابيل ؟ أين الحجارة من سجيل[2] ؟ ثم قلع الحجر الأسود وأخذوه حين رجعوا إلى بلادهم[3] ، فأقام عندهم اثنتين وعشرين سنة .

ولما رجع القرمطي إلى بلاده تبعه أمير مكة وهو ومن معه من جنده ، وسأله وتشفع إليه في أن يرد الحجر ليوضع مكانه ، وبذل له جميع ما عنده من الأموال . فلم يفعل فقاتله أمير مكة ، فقتله القرمطي وقتل أكثر جنده ، واستمر راجعاً إلى بلاده .

وقد ألحد إلحاداً كبيراً في الحرم عندما قتل الحجيج وأخذ أموالهم واقتلع الحجر الأسود إذ لم يسبق إلى ذلك أحد . ثم إن بَجْكَم التركي مملوك الخليفة القائم بأمر الله هو الذي استنقذ الحجر الأسود من أيدي القرامطة وافتداه منهم بخمسين ألف دينار بذلها حتى ردوه إلى مكة .

وذكر أن القرمطي لما أخذ الحجر الأسود حمله على عدة جمال فعطبت منهم ، ولما ردوه إلى مكة حملوه على بعير واحد ، ولم يصب ذلك البعير بشيء .

---

(١) بمفتل : حبل لشد الحجر .

(٢) في قول هذا المارغ الكافر دليل واضح على كفر القرامطة واستهزائهم بالله وآياته ورسله .

(٣) في الإحساء . شرق الجزيرة (المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية حالياً) .

حادثة الحرم (فتنة جهيمان)

أما هذه الحادثة المؤلمة التي أودت بحياة كثير من المسلمين من الطرفين لأسباب الله عز وجل أعلم بها ولا صلة لها بالدين ، لأن كل من قرأ أحاديث المصطفى الصحيحة في المهدي « محمد بن عبد الله » عرف أن هذا ليس وقته الذي ذكره النبي عليه الصلاة والسلام وحدده ، وهو في أشراط الساعة الكبرى حين ظهور الفتن الكبرى أمثال المقتلة مع الروم ، وفتح القسطنطينية ، ونزول المسيح ، وخروج الدجال ، وغيرها مما هو معروف عند أهل التحري والبحث والحق ، فالمهدي سيظهر ، وفي وقت الملاحم ، وهو الذي سيقود الجيوش الإسلامية التي ستقاتل الروم ، وهو الذي سيقودها كذلك لفتح القسطنطينية الفتح الثاني الذي ذكره في صحيح مسلم ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . قال : لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق[1] ، فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم ، قالوا : لا إله إلا الله والله أكبر ، فيسقط أحد جانبيها (قال ثور[2] : لا أعلمه إلا قال) الذي في البحر ، ثم يقولون الثانية : لا إله إلا الله والله أكبر ، فينفرج لهم ، فيدخلونها فيغنمون ، فبينما هم يقتسمون المغانم ، إذ جاءهم الصريخ[3] .

فقال : إن الدجال قد خرج ، فيتركون كل شيء ويرجعون » .

وفي رواية أخرى لمسلم من حديث يسير بن جابر : « ... فيرفضون ما في أيديهم ويقبلون ، فيبعثون عشرة فوارس طليعة . قال رسول الله ﷺ : « إني

---

(١) النووي يقول : هم من بني إسماعيل .

(٢) ثور : هو ابن زيد الديلي .

(٣) في رواية أخرى « الشيطان » .

لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم ، وهم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ ، أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ »[1] .

وهكذا نجد أن الفتنة الكبرى التي حدثت في الحرم فتنة عظيمة عطلت مسيرة الدعوة الإسلامية ، وأرجعتها إلى الوراء كثيراً ، وحرم المسلمون من بيت الله أياماً طويلة ، وأُلحد في البيت ، وكان فسادٌ عريض في الأرض يومها . نسأل الله تعالى أن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن . وأن يلهمنا من أمرنا رشداً ويعلمنا في ديننا ما جهلناه ويفقهنا فيه ويبعدنا عن هوى النفس والشيطان ، إنه ولي ذلك والقادر عليه[2] .

سراق كنز الكعبة في التاريخ

يقول الأزرقي[2] : لما طالت ولاية جرهم استحلوا من الحرم أموراً عظاماً ، ونالوا ما لم يكونوا ينالون ، واستخفوا بحرمة الحرم ، وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى إليها سراً وعلانية . فلما رأى « مضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض » ما تعمل جرهم في الحرم وما تسرق من مال الكعبة سراً وعلانية عمدا إلى غزالين كانا في الكعبة من ذهب وأسياف قلعية فدفنها في موضع بئر زمزم .

ويقول إبراهيم الحربي[3] : أن قريشاً حفرت الجب في جوف الكعبة .. وهذا نص قوله : « كان البيت يكرم على وجه الدهر ويهدى له ، فحفرت قريش في جوفه حفيرة يجعلون هداياهم في تلك البئر ، يرتضون رجلاً فيجعلونه على تلك البئر ، فبينما الرجل الذي ارتضوه عليها فسولت نفسه

(١) ولنا رسالة في « فتح القسطنطينية » بينا فيها كل التساؤلات التي تطرح عن هذه القضايا وما يطرح عن « شخصية المهدي » يسر الله تعالى إخراجها .

(٢) تاريخ مكة .

(٣) المناسك .

خيانةً . فلما انقطعت الظلال وخفت المجالس بسط ثوبه ثم أخذ منها ثلاثة مرار ، يحمله في ثوبه فقيض الله عليه منها حجراً في الثالثة ، فحبسه محنياً رأسه أسفله ، فراح الناس فأخرجوه وأعادوا إليها ما كان أخذ منها » .

والظاهر من هذه الحادثة أن الجب حفر مرتين مرة في عهد إبراهيم كما مر معنا ، والمرة الثانية في عهد قريش . والله سبحانه أعلم .

وقام دعي علوي في مكة في خلافة المستعين بالله عام (٢٥٠هـ) فنهب ما في خزائن الكعبة من الأموال ، وقام لقيامه بعض العلويين [١] في المدينة بعد ذلك ؛ إلا أن أمرهم انتهى بما ينتهي إليه أمر كل مفسد .

☆ وفي خلافة المعتمد قام أحد أدعياء العلويين بالمدينة عام ٢٧٩هـ فنهب ما في المسجد الحرام ، ومنع الناس من الخروج ، فظلوا محصورين لا يجسرون على الخروج مدة أربعة أسابيع .

☆ ثورة العلويين الثالثة بقيادة الأفطس في عام ١٩٩هـ بقيادة الحسين بن الحسن بن علي ابن أبي طالب المعروف (بالأفطس)دخلها يوم التروية (مساء) وذهب إلى الكعبة وجرد خزانتها مما فيها من الأموال وقسمها في جيشه ، ورأى أن الكعبة لا حاجة لها في أموال مجمدة تفتقر إليها الجيوش المحاربة في سبيل الإسلام في رأيه .

☆ وفي سنة ٥٨٧هـ : وفيها على ما ذكره العماد تولى القضاء محيي الدين محمد ابن الزكي بدمشق وفيها عدا أمير مكة داود بن عيسى بن مليئة بن هاشم ابن محمد بن أبي هاشم الحسني ، فأخذ أموال الكعبة حتى انتزع طوقاً من فضة كان على دائرة الحجر الأسود ، كان قد لم شعثه حين ضربه ذلك القرمطي بالدبوس ، فلما بلغ السلطان خبره من الحجيج عزله وولى أخاه بكيراً ، ونقض القلعة التي كان بناها أخوه على أبي قبيس ، وأقام داود بنخلة حتى توفي فيها سنة سبع وثمانين [٢] .

---

(١) نسبة إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه

(٢) البداية والنهاية

القول في قوله تعالى « ألم يروا أنا جعلناه حرماً آمنا »

قال الحافظ ابن حجر : « قيل حديث أبي هريرة « ولن يستحل هذا البيت إلا أهله » يخالف قوله تعالى : ﴿ **أولم يروا أنا جعلناه حرماً آمناً** ﴾ ولأن الله حبس عن مكة الفيل ، ولم يمكن أصحابه من تخريب الكعبة ، ولم تكن إذ ذاك قبلة ؛ فكيف يسلط عليها الحبشة بعد أن صارت قبلة للمسلمين ؟ وأجيب بأن ذلك محمول على أنه يقع في آخر الزمان قرب قيام الساعة حيث لا يبقى في الأرض أحد يقول الله الله كما ثبت في صحيح مسلم : « لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله » . ولهذا وقع في رواية سعيد بن سمعان : « لا يعمر بعده أبداً ، وقد وقع قبل ذلك فيه من القتال وغزو أهل الشام له في زمن يزيد بن معاوية ثم بعده في وقائع كثيرة من أعظمها وقعة القرامطة بعد الثلاث مئة فقتلوا من المسلمين في المطاف من لا يحصى كثرة ، وقلعوا الحجر الأسود فحولوه إلى بلادهم ثم أعادوه بعد مدة طويلة ثم غزي مراراً بعد ذلك ، وكل ذلك لا يعارض قوله تعالى : ﴿ **أو لم يروا أنا جعلناه حرماً آمناً** ﴾ ، لأن ذلك وقع بأيدي المسلمين فهو مطابق لقوله ﷺ : « ولن يستحل هذا البيت إلا أهله » . فوقوع ما أخبر به ﷺ ، وحقق من علامات نبوته ، وليس في الآية ما يدل على استمرار الأمر المذكور فيها . أ.هـ .

وقال العييني : لا يلزم من قوله (حرماً آمناً) أن يكون ذلك دائماً في كل الأوقات ، بل إذا حصلت له حرمة وأمن في وقت ما صدق عليه هذا اللفظ وصح المعنى ، ولا يعارضه ارتفاع ذلك المعنى في وقت آخر . وقال القاضي عياض : (حرماً آمناً) أي قرب القيامة .

وقال ابن الجوزي : « إن قيل ما السر في حراسة الكعبة من الفيل ولم تحرس في الإسلام مما صنع بها الحجاج والقرامطة وذو السويقتين ؟ فالجواب :

أن حبس الفيل كان من إعلام النبوة لسيدنا رسول الله ﷺ ، ودلائل رسالته لتأكد الحجة عليهم بالأدلة التي شوهدت بالبصر قبل الأدلة التي بالبصائر ، وكان حكم الحبس أيضاً دلالة على وجود الناصر .

وقد عقد البخاري باباً في قول الله تعالى ﴿ **جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ، وأن الله بكل شيء عليم** ﴾ « المائدة : ٩٨ » .

ثم أورد فيه حديث أبي هريرة هذا . قال العيني : أشار به إلى أن قوام الناس وانتعاش أمر دينهم ودنياهم بالكعبة يدل عليه قوله : (قياماً للناس) فإذا زالت الكعبة على يد ذي السويقتين تختل أمورهم .

وقال الحافظ : كأنه يشير إلى أن المراد بقوله : (**قياما**) أي قواماً وأنها ما دامت موجودة فالدين قائم فلهذه النكتة أورد في الباب قصة هدم الكعبة في آخر الزمان .

ويقول الشوكاني : (**قياماً للناس**) مداراً لمعاشهم ودينهم ، فيه ما يصلح دينهم ودنياهم ، يأمن خائفهم ، وينصر فيه ضعيفهم ويربح تجارهم ، ويتعبد فيه متعبدهم .

حج البيت في آخر الزمان

عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « ليحجن هذا البيت ، وليعتمرن بعد يأجوج ومأجوج » [(١)] .

وعن أبي سعيد كذلك قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت »[(٢)] .

---

(١) رواه أحمد والبخاري .

(٢) رواه الأربعة والحاكم وهو صحيح (صحيح الجامع الصغير) .

يقول ابن كثير : ولا منافاة في المعنى بين الروايتين ، لأن الكعبة يحجها الناس ويعتمرون بها ، بعد خروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم ، وطمأنينة الناس وكثرة أرزاقهم في زمان المسيح عليه السلام ، ثم يبعث الله ريحاً طيبة فيقبض بها روح كل مؤمن ، ومؤمنة ، ويتوفى نبي الله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ، ويصلي عليه المسلمون ، ويدفن بالحجرة النبوية[(١)] ، مع رسول الله ﷺ فيها ، ثم يكون خراب الكعبة على يد ذي السويقتين ، بعد هذا ، وإن كان ظهوره في زمان المسيح ، كما قال كعب الأحبار ، وهو الصحيح إن شاء الله تعالى .

ويقول المناوي في الحديث الأول : ولا يلزم من حج الناس بعد خروجهم (يأجوج ومأجوج) امتناع الحج في وقت ما عند اقتراب الساعة ؛ فلا تدافع بينه وبين خبر لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت . ويظهر أن المراد بقوله ليحجن البيت مكان البيت لخبر أن الحبشة إذا خربوه لم يعمر بعد . كذا ذكره بعضهم . وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : « استمتعوا من هذا البيت فإنه قد هدم مرتين ويرفع في الثالثة »[(٢)] . وحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يحال بينكم وبينه فكأني برجل من الحبشة أصلع وأصمع حمش الساقين قاعد عليها وهي تهدم »[(٣)] .

جيش عيسى عليه السلام لقتال الحبشي

يقول السيوطي : ذكر الحليمي وغيره : أن ظهور ذي السويقتين في وقت عيسى ، على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، بعد هلاك يأجوج ومأجوج فيبعث

(١) فيه دلالة على بقاء مسجد النبي ﷺ إلى قيام الساعة كما وضحنا ذلك في قصة المسيح الدجال حين قدومه إلى المدينة ووقوفه على الضريب الأحمر على بقلته . فيقول : « هذا القصر الأبلق قصر أحمد » . رواه أحمد وهو صحيح .

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه .

(٣) رواه الحاكم في المستدرك وهو صحيح .

عيسى إليه طليعة ما بين سبع مئة إلى ثمانمئة فبينما هم يسيرون إليه إذ يبعث الله ريحاً يمانية طيبة فتقبض روح كل مؤمن . أ.هـ .

وزاد ابن كثير : « ... ثم يبقى عجاج - الرعاع والسفلة - ، واحدته عجاجة كسحاب وسحابة من الناس ، يتسافدون - يتجامعون - كما تتسافد البهائم ، قال كعب : وتكون الساعة قريبة حينئذ » .

وقيل إن هدم الكعبة بعد خروج الدابة وقيل بعد الآيات كلها قرب قيام الساعة حين ينقطع الحاج ولا يبقى في الأرض من يقول الله . ويؤيد هذا أن زمن عيسى عليه السلام كله زمن بركة وأمان وخير وهذا أليق بكرم الله ، والذي تقتضيه الحكمة فإن البيت قبلة الإسلام ، والحج إليه أحد أركان الدين ومبانيه ، فالحكمة تقتضي بقاءه ببقاء الدين فإذا جاءت الريح الباردة الطيبة وقبضت أرواح المؤمنين فبعد ذلك يهدم البيت ويرتفع القرآن . وهذا هو الأظهر لي بعد جمع الروايات الصحيحة والضعيفة في الموضوع وجمع أقوال العلماء فيها .

وجاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « استمتعوا من هذا البيت ، فإنه قد هدم مرتين ، ويرفع في الثالثة » رواه الطبراني والحاكم وهو صحيح .

يقول العلامة الألباني : « يريد بعد الثانية ، إذا رفع ما قد هدم محال ، لأن البيت إذا هدم لا يقع عليه اسم بيت إذا لم يكن هناك بناء . كذا قاله ابن خزيمة ٢/٢٥٢/١ .

وقال العلامة الشيخ مرعي في كتابه « البهجة » : جاء عن الثقات الحفاظ ، يمكث الناس ما شاء الله تعالى في الخصب والدعة بعد هلاك يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس وخروج الدابة . قال : ثم يخرج الحبشة وعليهم ذو السويقتين فيخربون مكة ويهدمون الكعبة ثم لا تعمر بعدها ، وهم الذين يستخرجون كنوز مصر .

قوة دولة الجيش الحبشي الغازي للكعبة

عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي ﷺ ، قال : « اتركوا الحبشة ما تركوكم فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة » . رواه أبو داود وهو صحيح . والحديث الآخر : « دعوا الحبشة ما ودعوكم » رواه أبو داود وهو صحيح.

في هذين الحديثين إشارة إلى أن الحبشة سترجع إليها قوتها السابقة الأولى أيام النجاشي كدولة متسيدة ، كما كانت ، تملك الجيش والعدة وتغزو وتحارب . هذا ما تبين لنا من كلام النبي عليه السلام .

بوب أبو داود في كتابه السنن « باب النهي عن تهييج الحبشة » .

وبدايتا الحديثين تدلان على ذلك . ففي الأول : يقول : شمس الحق « ما تركوكم » أي مدة دوام تركهم لكم لما يخاف من شرهم المشار إليه بقوله : « فإنه لا يستخرج كنز الكعبة » أي المال المدفون فيها إلا عبد حبشي لقبه ذو السويقتين . والحديث الثاني : التهييج . « دعوا الحبشة » أي اتركوا التعرض لابتدائهم بالقتال « ما ودعوكم » أي ما تركوكم . قال الطيبي رحمه الله : قل ما يستعملون الماضي ممن ودع إلا ما روي في بعض الأشعار بقوله :

ليت شعري عن خليلي ما الذي   نحاله في الحب حتى ودعه

والحبشة اليوم معروفة من أفريقية ، كان يحكمها الطاغية هيلا سيلاسي فأهلكه الله فجاء محله الشيوعي النصراني هيلا مريام .

والحبش بن كوش بن حام بن نوح ، وهم مجاورون لأهل اليمن ، يقطع بينهم البحر . فيهم المسلمون ويغلب عليهم النصارى عباد الصليب . وكان العرب في الجاهلية والإسلام يسافرون إليها بالسفن من جدة أو الشعيبة .

الطريق الذي يسلكه الجيش الحبشي لخراب الكعبة

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « يغزو جيش الكعبة ، فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم » متفق عليه . والبيداء هي الأرض الملساء من الأرض وفي هذا صارت اسم موضع مخصوص بين مكة والمدينة . وهذا الجيش يخسف به فلا يبقى منه ، إلا أن بعض الروايات وهي رواية حفصة : « فلا يبقى إلا الشريد الذي يخبر عنهم » رواه مسلم . ولو ربطنا الأحاديث بعضها ببعض فإننا سنخرج بنتيجة أن الجيش الحبشي سيأتي إلى مكة بحراً أي سترسو سفنه في جدة ثم ينزل الجيش منهم الراكب ومنهم الراجل (الماشي) كعادة الجيوش الكبيرة سائراً الى مكة .

وقد جاء أثر في تعضيد مسألتنا هذه ؛ وهو ما جاء عن سعيد بن عمرو ابن سعيد بن العاص السعيدي عن جده ، عن عبد الله بن عمرو ، أنه قال : اخرجوا يا أهل مكة قبل إحدى الصَّيلمين ؛ قيل : وما الصيلمان ؟ قال : ريح سوداء تحشر الذرة والجعل ، قيل : فما الأخرى ؟ قال : تجيش البحر بمن فيه من السودان ثم يسيلون سيل النمل حتى ينتهوا إلى الكعبة فيخربونها . والذي نفس عبد الله بيده لأنظر إلى صفته في كتاب الله أفيحج أصيلع قائماً يهدمها بمسحاته . قيل له : فأي المنازل يومئذ أمثل ؟ قال : الشعف – يعني رؤوس الجبال – .

سيهرب أهل مكة في ذلك الزمان عند دخول الجيش الحبشي إلى رؤوس الجبال ، كما فعل عبد المطلب عند دخول جيش أبرهة الحبشي إلى مكة ، وفي الحرب التي جرت بين الحجاج وابن الزبير ، وعند هدم الزبير للكعبة هرب الناس إلى الجبال وإلى منى . وكما يحصل كذلك عندما شبت الحرائق المتكررة في موسم الحج في منى ، وعندما جاء مكة السيول الكثيرة وعددها ثلاثة

وسبعون سيلاً . الناس كانت دائماً تتحصن في كل ذلك بالجبال ؛ وهي الأماكن الآمنة دائماً ، وهو أمر فطري في الإنسان وإنما يلجأ إلى الأعلى كما يحصل للناس كذلك عند المصائب والمحن التي تصيبهم فإنهم يلجئون إلى الله تعالى وهو الأعلى سبحانه .

- **وقائع حصلت :**

وقعة الأحباش : في عهد خلافة الهادي والرشيد هاجم فريق من الأحباش جدة في عام ١٧٣ أو ١٨٣هـ وأوقعوا بها ، ففرّ أهل جدة إلى مكة مستغيثين بأهلها ، فنفر الأهالي لمساعدتهم ، فأحس الأحباش بالهزيمة ففروا إلى مراكبهم . وجهز صاحب مكة غزاة في البحر ليدفعوهم بعيداً عن جدة .

وفي هذه الوقعة بعض العبر والدلائل منها : أن الحبشة يأتون من جهة البحر جهة جدة . اعتقاد الناس كان في ذاك الوقت أن الأحباش الذين يأتون في آخر الزمان أتى وقتهم فهربوا منهم .

صفة قائد الحملة التي ستخرب الكعبة وتستخرج كنزها

من العلامات العظمى التي ستحدث في آخر الزمان ، هدم الكعبة المشرفة ، والقبلة المعظمة ، وسلب حليها ، واستخراج كنزها . وقد صحت في هذا الأمر العظيم أحاديث كثيرة مرفوعة وموقوفة في الصحيحين والسنن والمسانيد وغيرها من كتب السنة وهناك كذلك بالمقابل أحاديث ضعيفة لم تصح سنداً ولكن شواهدها تعضدها وترتقي بها إلى درجة الحسن والقوة والله أعلم : وقد رتبت هذه الأحاديث حتى اكتملت صفته كما ستراه في هذا الباب . وإنه نفيس ولن تراه في أي كتاب سابق أو لاحق .

ومن ذلك :

الحديث الأول :

أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة » . وفي لفظ « ذو السويقتين من الحبشة يخرب بيت الله » .

الحديث الثاني :

وفي الصحيحين « كأني أنظر إليه أسود أفحج يهدمها (ينقضها) (يقلعها) (في البخاري) حجراً حجراً » . وكذلك رواه أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

الحديث الثالث :

عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ، ويسلبها حليتها ، ويجردها من كسوتها ، ولكأني أنظر إليه أصيلع أفيدع يضرب بمسحاته ومعوله » جيد رواه أحمد . وقال ابن كثير : إسناده قوي .

الحديث الرابع :

عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ : « كأني بحبشي مخَرَّبٍ على هذه الكعبة » ذكره أبو عبيد المباركفوري في « مراعاة المفاتيح » .

الحديث الخامس :

عن المغيرة بن شعبة قال : قال رسول الله ﷺ : « كأنه أمة مخربة » . رواه ابن الجوزي في غريب الحديث ١/٢٧٠ .

الحديث السادس :

عن علي بن أبي طالب : « استكثروا من الطواف قبل أن يحال بينكم وبينه فكأني برجل من الحبشة أصلع وأصمع حمش الساقين قاعد عليها وهي تهدم » . رواه الحاكم وذكره أبو عبيد في غريب الحديث .

الحديث السابع :

وجاء عن حذيفة حديث طويل وفيه : « خراب مكة من الحبشة على يد حبشي أفحج الساقين أزرق العينين أفطس الأنف كبير البطن معه أصحابه ينقضونها حجراً حجراً ويتناولونها حتى يرموا بها - يعني الكعبة - في البحر » . رواه ابن الجوزي .

☆ صفة الجسم : دميم الخلقة .

☆ صفة اللون : حبشي أسود .

☆ صفة الأذن : مُخَرَّبَة أو مُخَرَّب : مثقوب الأذن ، والثقبة هي الخربة . والأصمع قيل : صغير الأذن وقيل كبيرها .

☆ صفة العين : أزرق العينين .

☆ صفة الأنف : أفطس الأنف .

☆ صفة اليد : أفيدع تصغير الأفدع ، والأفدع هو أعوج رسغ يده أو رجله ، حتى ينقلب الكف أو القدم إلى الجهة الإنسية أي تدخل إلى داخل الجسم ، أو هو الذي يمشي على ظهر قدمه ، أو هو الذي ارتفع أخمص قدمه حتى لو عصفور ما آذاه ، أو هو الذي به عوج في المفاصل حتى كأنها قد زالت عن مواضعها أو زيغ بين القدم وبين عظم الساق ☆ .

☆ صفة الرأس : أصيلع « تصغير أصلع ، وهو الذي ذهب شعر رأسه بعد أن كان موجوداً بخلاف الأقرع ، فهو من الأشعر برأسه خلقةً » وفيه : « أصمع أقرع » ذكره العيني .

☆ صفة الساقين : (ذو السويقتين) : تثنية سويقة ، مصغر الساق ، ألحق بها التاء للتصغير ، لأن الساق مؤنثة والتصغير للتحقير والإشارة إلى الدقة لأن الغالب على سيقان الحبشة الدقة

☆ هذه المعاني قد ذكرها صاحب القاموس المحيط ، والمراد ما يخص القدم من هذه الأوصاف .

والحموشة ☆ .

وقال الطيبي : سر التصغير الإشارة إلى مثل هذه الكعبة المعظمة يهتك حرمتها من مثل هذا الذميم الخلقة . ويحتمل أن يكون الرجل اسمه ذلك وصفاً له ، أي رجلٌ من الحبشة دقيق الساقين رقيقهما جداً . والحبشة وإن كان شأنهم دقة السوق لكن هذا يتميز بمزيد من ذلك . أ.هـ .

☆ صفة البطن : كبير البطن .

ما نوعية الكنز الذي سيخرجه الجيش الغازي - وصفه - ؟

عندما هدمها السيل في عهد الجاهلية ، وكان في جوفها بئر تحرز فيها أموالا وما يهدى إليها من النذور والقرابين . حتى إنه يقال إن رجلاً يقال له دويك قد سرق ما كان فيها أو بعضه فقطعت قريش يده .

قال موسى بن عقبة : وإنما حمل قريشاً على بنائها أن السيول كانت تأتي من فوقها ، من فوق الردم الذي صفوه فخربه فخافوا أن يدخلها الماء . وكان رجل يقال له « مليح » سرق طيب الكعبة . فأرادوا أن يشيدوا بنيانها وأن يرفعوا بابها حتى لا يدخلها إلا من شاؤوا فأعدوا لذلك نفقة وعمالاً .

ثم غدوا إليها يهدموها على شفق وحذر أن يمنعهم الذي أرادوا فكان أول رجل طلعها وهدم منها شيئاً الوليد بن المغيرة ؛ فلما رأوا الذي فعل الوليد تتابعوا فوصفوها فأعجبهم ذلك . فلما أرادوا أن يأخذوا في بنيانها أحضروا عمالهم فلم يقدر رجل منهم أن يمضي أمامه موضع قدم فزعموا أنهم رأوا حية قد أحاطت بالبيت رأسها عند ذنبها . فأشفقوا منها شفقة شديدة ، وخشوا أن

☆ ذكره أبو عبيد البكري المباركفوري في « المرعاة » .

يكونوا قد وقعوا مما عملوا في هلكة . وكانت الكعبة حرزهم ومنعتهم من الناس وشرفاً لهم . فلما سقط في أيديهم والتبس عليهم أمرهم قام فيهم المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم فذكر ما كان من نصحه لهم وأمره إيّاهم ألاّ يتشاجروا ولا يتحاسدوا في بنائها ، وأن يقتسموها أرباعاً ، وألاّ يدخلوا في بنائها مالاً حراماً . وذكر أنهم لما عزموا على ذلك ذهبت الحية في السماء وتغيبت عنهم ورأوا أن ذلك من الله عز وجل . قال : ويقول بعض الناس إنه اختطفها طائر وألقاها نحو أجياد[1] .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار : فلما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبناء الكعبة وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها ويهابون هدمها . وإنما كانت رضماً فوق القامة . فأرادوا رفعها وتسقيفها وذلك أن نفراً سرقوا كنز الكعبة ، وإنما كان في بئر في جوف الكعبة . وكان الذي وجد عنده الكنز دويك مولى لبني مليح بن عمرو بن خزاعة . فقطعت قريش يده . وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك[2] . وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جُدة لرجل من تجار الروم تحمل آلات البناء من الرخام والخشب والحديد سرحها قيصر مع « باقوم الرومي » إلى الكنيسة التي أحرقها الفرس للحبشة فلما بلغت مرساها من جدة بعث الله عليها ريحاً فحطمتها . وقال ابن إسحاق : وكان بمكة رجل قبطي نجار فتهيأ لهم في أنفسهم بعض ما يصلها . وكان حية تخرج من بئر الكعبة التي كانت تطرح فيها ما يهدى إليها كل يوم .

وكان أول من حلّى البيت عبد المطلب لما حفر بئر زمزم ، وأصاب فيه من دفن جرهم غزالين من ذهب فضربها في باب الكعبة .

وجاء عن عائشة رضي الله عنها ، قال رسول الله ﷺ : « لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله ، ولجعلت بابها بالأرض ، ولأدخلت فيها من الحجر » رواه البخاري ومسلم .

(١،٢) البداية والنهاية : ١٢/٣٠٠ ، ٣٠١ .

وقول الرسول عليه السلام : « اتركوا الحبشة ما تركوكم فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين » فيه دلالة على وجود هذا الكنز في البئر بداخلها من وإلى آباد الدهر أي إلى وقت استخراجه من قبل الأفحج الحبشي ، وهذا الكنز مكون من الهدايا التي تجيء من الملوك والتجار والناس من الذهب والفضة وأنواع الحلي والجواهر .

ومن الدلائل الأخرى التي تدل وجود هذا الكنز ، وهو من معجزاته ودلائل نبوته ﷺ ، ما ذكره الأزرقي في كتاب « تاريخ مكة » قال : حدثني جدي ، قال حدثني ابن عيينة عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، أن عمر بن الخطاب قال : لقد هممت ألاّ أدع في الكعبة صفراء وبيضاء إلا قسمتها ؟ فقال له أبي بن كعب : والله ما ذلك لك . فقال عمر : لم ؟ فقال : إن الله عز وجل قد بين موضع كل شيء وأقره رسول الله ﷺ . فقال عمر : صدقت ! وحدثني جدي قال : حدثنا ابن عيينة عن سفيان بن سعيد الثوري عن واصل الأحدب عن أبي وائل شقيق بن سلمة ، قال : جلست إلى شيبة بن عثمان في المسجد الحرام ، فقال : جلس إليّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه مجلسك هذا ، فقال : لقد هممت ألاّ أترك فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمتها - يعني كنز الكعبة - قال شيبة : فقلت له : إنه قد كان لك صاحبان لم يفعلاه : رسول الله ﷺ ، وأبو بكر رضي الله عنه . فقال : هما المرء إن اقتدي بهما .

وجاء كذلك عن الأزرقي بسنده إلى محمد بن إسحاق قال : وحفر إبراهيم عليه السلام جباً « بئراً » في بطن البيت على يمين من دخله يكون خزانة للبيت يلقي فيه ما يهدى للكعبة وهو الجب الذي نصب عليه عمرو بن لحي ، هبل الصنم الذي كانت قريش تعبده وتستقسم عنده بالأزلام حين جاء به من هيت من أرض الجزيرة . وهذا الجب في الواقع من أقدم آثار الكعبة التي حفرها إبراهيم عليه السلام إبّان بنائه للكعبة . وقد جعلها مخزناً أميناً في داخل الكعبة لهداياها ، وتقع على يمين الداخل إليها .

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول : سمعت عمر رضي الله عنه يقول :

إن تركي هذا المال في الكعبة لا آخذه فأقسمه في سبيل الله تعالى وفي سبيل الخير . وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يسمع ما يقول ؛ فقال : ما تقول يا ابن أبي طالب ؟ احلف بالله لئن شجعتني عليه لأفعلن . قال : فقال له علي : أتجعله فيأ وأحرى صاحبه رجل يأتي في آخر الزمان ضرب آدم طويل ، فمضى عمر ، قال : وذكروا أن النبي ﷺ وجد في الجب الذي كان في الكعبة سبعين ألف أوقية من ذهب مما كان يهدىٰ إلى البيت ، وأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . قال : يا رسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك ، فلم يحركه ، ثم ذكر لأبي بكر فلم يحركه .

قال القرطبي : غلط من ظن أن المراد بذلك حلية الكعبة ، وإنما أراد الكنز الذي بها ، وهو ما كان يهدى إليها فيدخر ما يزيد عن الحاجة .

وقال ابن الجوزي : كانوا في الجاهلية يهدون إلى الكعبة المال تعظيماً لها فيجتمع فيها .

وقال الأزرقي : حدثني محمد بن يحي قال : حدثني بعض الحجبة في سنة ثمان وثمانين ومئة ، أن ذلك المال بعينه في خزانة الكعبة ، ثم لا أدري ما حاله بعد .

يقول مسافع بن عبد الرحمن الحجبي : لما بويع بمكة لمحمد بن جعفر بن محمد بن علي ابن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، في الفتنة في سنة مئتين ، حين ظهرت « المبيضة » * بمكة أرسل إلى الحجبة فتسلف منهم من مال الكعبة خمسة آلاف دينار ، وقال : نستعين بها على أمرنا فإذا أفاء الله علينا رددناها في مال الكعبة ، فدفعوا إليه وكتبوا عليه بذلك كتاباً وأشهدوا فيه شهوداً ، فلما خلع نفسه ورفع إلى أمير المؤمنين « المأمون » تقدم الحجبة واستعدوا عليه عند أمير المؤمنين فقضاهم أمير المؤمنين عن محمد بن جعفر خمسة آلاف دينار ، وكتب لهم بها إلى إسحاق بن عباس بن عباد بن محمد ، وهو وال على اليمن ، فقبضتها الحجبة وردوها في خزانة الكعبة .

كنز الكعبة اسمه « الأبرق »

ويقول الأزرقي : وسمعت يوسف بن إبراهيم بن محمد العطار يحدث عن عبد الله بن زرارة ، أن مال الكعبة كان يدعى « الأبرق » ولم يخالط مالاً قط إلا محقه ، ولم يرزأ أحد منه قط من أصحابنا إلا بان النقص في ماله ، وأدنى ما يصيب صاحبه أن يشدد عليه الموت . قال : ولم يزل من مضى من مشيخة الحجبة يحذرونه أبناءهم ويخوفونهم إياه ويوصونهم بالتنزه عنه ، ويقولون : لن تزالوا بخير ما دمتم أعفة عنه وإن كان الرجل ليصيب منه الشيء فيضعه عند الناس .

☆ فرقة من الثانوية وهم أصحاب المقنع ، سموا بذلك لتبييضهم ثيابهم مخالفة للمسودة من أصحاب الدولة العباسية .

ملاحـــق

أسماء الكعبة وما يتعلق بها [1]

البيت الحرام ، الدَّوّار ، الإلال ، ستر الله ، سرَّة الأرض ، الهـدي ، البيت ، البُنية ، القِبلة ، المُذْهَبُ ، بكـة ، القـادِس ، الحمسـاء ، البيت العتيق ، البيت المعمور ، كسوة الكعبة ، الهَدي بالفتح - الهُـدى بـالضم ، الوذيمـة ، الستوري ، الصوفة ، الحجبيون ، السدانة ، والسقاية ، وتاج الكعبة ، باب الكعبـة ، حجر الكعبة ، شاذروان الكعبة ، النالـه ، الجـدر ، الحطيم ، الركن الثـاني ، المُلتزم ، الحجر الأسود ، زمـزم ، مـاء زمـزم ، المضنـونـة ، بنـو مـاء السماء ، حرم الله ، العسكران ، المشهود ، جمع ، المشعر الحرام ، صنبح ، عمدة الإسلام ، مقلة الدنيا .

السيل الهائل (٧٣٨هـ) [2]

في عـاشر جمـادى الأولى استهل الغيث بمكـة من أول الليل ، فلمـا انتصف الليل جـاء سيل عظيم هـائل لم ير مثلـه من دهر طويـل ، فخرب دوراً كثيرة نحواً من ثلاثين أو أكثر ، وغرق جمـاعـة وكسر أبواب المسجـد ، ودخل الكعبـة وارتفـع فيهـا نحـواً من ذراع أو أكثر ، وجرى أمر عظيم حكاه الشيـخ عفيف الدين الطبري .

---

(١) أسماء مكة لمحمد المكي بن الحسين . المطبعة التعاونية .

(٢) ابن كثير في البداية والنهاية ١٤/١٨٠ .

عثمان بن الحويرث أراد غزو مكة بجيش من الروم
(مات عند قيصر) [1]

وأما عثمان بن الحويرث فأقام بالشام حتى مات فيها عند قيصر . وله خبر عجيب ذكره الأموي ، ومختصره أنه لما قدم على قيصر فشكا إليه ما لقي من قومه كتب له إلى ابن جفنة ملك عرب الشام ليجهز معه جيشاً لحرب قريش فعزم على ذلك فكتبت إليه الأعراب تنهاه عن ذلك ؛ لما رأوا من عظمة مكة ، وكيف فعل الله بأصحاب الفيل ، فكساه ابن جفنة قميصاً مصبوغاً مسموماً فمات من سمه فرثاه زيد بن عمرو بن نفيل بشعر ذكره الأموي . وكانت وفاته قبل المبعث بثلاث سنين أو نحوها . والله سبحانه وتعالى أعلم .

الزنج بنوا بلداً بالعراق سموه مكة

في ترجمة يعقوب بن الليث الصفار[2] قال عنه ابن كثير : أحد الملوك العقلاء الأبطال . فتح بلاداً كثيرة من ذلك بلد الرجح التي كان فيها ملك صاحبَ الزنج ، كان يحمل في سرير من ذهب على رؤوس اثني عشر رجلاً ، وكان له بيت في رأس جبل عال سماه « مكة » ، فما زال حتى قتل وأخذ بلده واستسلم أهلها فأسلموا على يديه ، ولكن كان قد خرج عن طاعة الخليفة وقاتله أبو أحمد الموفق .

---

(١) ابن كثير في البداية والنهاية ٢٤٣/٢ .
(٢) البداية والنهاية ٣٨/١١ .

أمير مكة ونهب الحجيج (٦١٧هـ) ☆

وفيها عزل المعظم المعتمد مفاخر الدين إبراهيم عن ولاية دمشق ، وولاها للعزيز خليل ، ولما خرج الحاج إلى مكة شرفها الله تعالى كان أميرهم المعتمد فحصل به خير كثير ، وذلك أنه كف عبيد مكة عن نهب الحجاج بعد قتلهم أمير حاج العراقيين أقباش الناصري ، وكان من أكبر الأمراء عند الخليفة الناصر ، وأخصهم عنده ، وذلك لأنه قدم معه بخلع للأمير حسين بن أبي عزيز قتادة ابن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم العلوي الحسني الزيدي بولايته لأمرة مكة بعد أبيه ، وكانت وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة ، فنازع في ذلك راجحاً وهو أكبر أولاد قتادة ، وقال : لا يتأمر عليها غيري ، فوقعت فتنة أفضى الحال إلى قتل أقباش غلطاً ، وقد كان قتادة من أكابر الأشراف الحسنيين الزيديين ، وكان عادلاً منصفاً منعماً ، نقمة على عبيد مكة المفسدين بها ، ثم عكس هذا السير فظلم وجدد المكوس ونهب الحاج غير مرة فسلط الله عليه ولده حسناً فقتله ، وقتل عمه وأخاه أيضاً ، فلهذا لم يمهل الله حسناً أيضاً ، بل سلبه الملك وشرده في البلاد ، وقيل بل قتل .

هل في كل سماء كعبة وما اسمها ؟

يقول ابن كثير :

وقد روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وغيره أنه أرشد إليه بوحي من الله عز وجل . وقد قدمنا في صفة خلق السموات أن الكعبة بحيال البيت المعمور بحيث إنه لو سقط لسقط عليها ، وكذلك معابد السموات السبع

☆ البداية والنهاية ٩٢/١٣ .

كما قال بعض السلف : إن في كل سماء بيتاً يعبد الله فيه أهل كل سماء وهو فيها كالكعبة لأهل الأرض ، فأمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يبني له بيتاً يكون لأهل الأرض كتلك المعابد لملائكة السموات ، وأرشده الله إلى مكان البيت المهيأ له المعين لذلك منذ خلق السموات والأرض . كما ثبت في الصحيحين أن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ؛ فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة . ولم يجيء في خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنياً قبل الخليل عليه السلام .

ويقول الشوكاني[1] في فتح القدير : « والبيت المعمور في سورة الطور (٤) في السماء السابعة تعمره الملائكة ويُعبد الله فيه » .

ويقول ابن كثير[2] في تفسيره لسورة الطور : « والبيت المعمور » ثبت في الصحيحين : أن رسول الله ﷺ قال في حديث الإسراء بعد مجاوزته السماء السابعة : « ثم رفع بي إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم » . يعني يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم . كذلك البيت المعمور هو كعبة أهل السماء السابعة وهو بحيال الكعبة الأرضية . وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها ويصلّون إليه والذي في السراء الدنيا يقال له بيت العزة والله أعلم .

وقال الماوردي في « النكت والعيون » تفسير الماوردي ١١٠/٤ [3] :

« والبيت المعمور » فيه أربعة أوجه :

أحدها – ما روى قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة قال :

قال رسول الله ﷺ : أُتي بي إلى السماء السابعة فرفع لنا البيت المعمور

---

(١) محمد بن علي بن محمد الشوكاني – وفاته بصنعاء ١٢٥٠هـ .

(٢) الإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، توفي ٧٧٤هـ .

(٣) الماوردي ٣٦٤ – ٤٥٠هـ . وهو أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي البصري . طبعة الأوقاف الكويتية ١٤٠٢هـ .

فإذا هو حيال الكعبة لو خرّ خر عليها ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه . (رواه مسلم) ، قاله علي وابن عباس .

الثاني – ما قاله السدي أن البيت المعمور هو بيت فوق ست سموات ودون السابعة يدعي الضرّاح يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك من قبيلة إبليس لا يرجعون إليه أبداً ، وهو بحذء البيت العتيق .

الثالث – ما قاله الربيع بن أنس أن البيت المعمور كان في الأرض في موضع الكعبة في زمان آدم . حتى إذا كان زمان نوح أمرهم أن يحجوا فأبوا عليه وعصوه فلما طغى الماء رفع فجعل بحذائه في السماء الدنيا ، فيعمره كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يرجعون إليه حتى ينفخ في الصور ، قال فبوأ الله لإبراهيم الكعبة البيت الحرام حيث كان ، قال الله تعالى : ﴿ **وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ...** ﴾ الآية .

الرابع – ما قاله الحسن إن البيت المعمور هو البيت الحرام .

وفي « المعمور » وجهان : (أحدهما) أنه معمور بالقصد إليه .
و(الثاني) بالمقام عليه ، قال الشاعر :

عمر البيت عامرُ ☆ إذ أتته جاذرُ
من ظباء روائحٍ ☆ وظباء تُباكرُ

وتأول سهل أنه القلب ، عمارته إخلاصه ، وهو بعيد .

الكعبة لا يدخلها الدجال

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ، وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين تحرسها ، فينزل بالسبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات ، يخرج إليها منها كل كافر ومنافق » رواه مسلم .

وجاء في رواية أخرى لمسلم من حديث تميم الداري رضي الله عنه قال : « ... قال الدجال : وإني مخبركم عني ، إني أنا المسيح ، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان عليَّ كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحداً منها استقبلني ملك بيده السيف صلتاً يصدني عنها » .

الشعر في إعادة بناء الكعبة في عهد الجاهلية

قال ابن إسحاق : فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا قال الزبير ابن عبد المطلب ، فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها :

عجبتُ لما تصوَّبتِ العقابُ ... إلى الثعبان وهي لها اضطرابُ
وقد كانتْ تكونُ لها كَشيشٌ ... وأحياناً يكونُ لها وثاب
إذا قُمنا إلى التأسيس شدَّتْ ... تُهيِّبُنا البناءَ وقد نَهاب
فلما أنْ خَشِينا الزجرَ جاءتْ ... عُقابٌ تتلئبُّ لها انصباب
فضمّتْهما إليها ثم خلَّتْ ... لنا البنيانَ ليسَ لها حِجاب
فقمنا حاشِدينَ إلى بناءٍ ... لنا منهُ القواعدُ والتراب
غداةَ يرفَّع التأسيسُ منه ... وليسَ على مَساوينا ثياب
أعزَّ به المليكُ بني لؤيّ ... فليسَ لأَصلِهِ منهم ذهاب
وقد حشَدتْ هناك بنو عَديّ ... ومُرَّة قد تقدَّمها كِلاب
فبوّأنا المليكُ بذاك عزاً ... وعندَ اللهِ يُلتمس الثواب☆

☆ ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ٣٠٤/٢ .

من طاف في المطر
من الصحابة والعلماء وغيرهم

☆ قال مجاهد : إن ابن الزبير رضي الله عنهما طاف سباحة . وقد جاء سيل طبق الأرض وامتنع الناس من الطواف .

☆ العلامة البدر ابن جماعة : طاف بالبيت سباحة كلما حاذى الحجر غطس لتقبيله ، وكذا اتفق لغيره من المكيين وغيرهم .

«المقاصد الحسنة : السخاوي»

☆ طاف بعض الناس سباحة في ذلك اليوم .

«تاريخ مكة : الأزرقي»
سيل عام ١٢٧٨هـ
(شهر جمادى الأولى)

خزائن الكتب التي تلفت
في السيول التي أتت مكة

أخبار مكة - الأزرقي :

☆ سيل عام ٤٨٩هـ : جاء سيل في هذا العام ودخل الحرم ، ووصل إلى خزائن الكتب فأتلف منها الشيء الكثير .

☆ سيل عام ٧٣٨هـ : بل جميع الكتب التي كانت في قبة الكتب فقعد الناس في تنظيفه .

☆ سيل عام ١٠٥٥هـ : أتلف ما في قبة الفراشين من الكتب .

☆ سيل عام ١٢٧٨هـ : في شهر جمادى الأولى طفحت بئر زمزم وغرقت الكتب التي بالحرم .

الرحالة الأجانب والكعبة

يقول عباس محمود العقاد في كتابه « مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية » : « ولقد حاولت الدول الكبرى أن تستغني عنها (عن الكعبة) بتحويل الطريق منها أو هدمها ، فلم تفلح ، وبقيت لها مكانتها وقداستها كما كانت من أقدم عهودها ، وهي قديمة سابقة لكتابة أسفار العهد القديم في التوراة ، فإنها هي « ميشة » المشار إليها في سفر التكوين ، وهي « ميشا » التي يقول الرحالة «برتون» : إنها كانت بناءً مقصوداً لعبادة أناس من الهند .

ويقول الرحالة الشرقيون : إنها كانت بيتاً مقصوداً للصابئين الذين أقاموا في جنوب العراق قبل الميلاد بأكثر من عشرة قرون ، ونرجح نحن ترجيح الظن أن سكان شواطىء الهند والخليج وجدوا فيها ساحة لعبادة أربابهم العُلْوية وأفلاك السماء كلما ترددوا عليها في تجارتهم من أقدم عهود التاريخ » .

● وقال لودفيكو دي فارتيما ، الرحالة الإيطالي :

« وفي فسحة مكشوفة في وسطه ، برج صغير يقدر كل من جوانبه بما يراوح بين خمس وست خطوات ، أحيط بنسيج من الحرير الأسود هو الكعبة . ويمكن الدخول إلى الكعبة من باب من الفضة يقع أسفله على ارتفاع قامة رجل ، وقد وضع على كل من جانبه إناء مليء بالعطر . وترى حلقة ضخمة في كل ركن من أركان البرج . « هذا الوصف كان عام ١٥٠٣م » .

● وبوكهارت الأوروبي شاهد مكة بعد الحج لأنه أقام فيها الأوقات العادية ، فاكتشف لنا ناحية جديدة في المسجد : « المصابيح المضاءة خلال شهر رمضان في المسجد الكبير تجعل منه ملتقى الغرباء ، يأتون إليه للنزهة والسمر حتى منتصف الليل ، وهو يستخدم كمدرسة إذ إن جماعات من التلاميذ يجلسون في أروقته يرددون القرآن ... » .

وفي الختام أسأل الله العون والسداد وأن لا يخيب الرجاء وأن يجعله خالصاً لوجهه وأن ينفعني به ، ووالدي ، ومن شاء من مشايخنا وإخواننا المسلمين والمسلمات بمنّه وكرمه ، إنه سميع الدعاء . آمين .

كتبه لكم
محمد بن إبراهيم الشيباني
في رمضان الكريم سنة
١٤٠٧هـ

ركائز البحث

الكتاب	المؤلف
أخبار مكة	للأزرقي
الكعبة المشرفة	الأنصاري
صحيح الجامع الصغير	الألباني
ضعيف الجامع الصغير	الألباني
سلسلة الأحاديث الصحيحة	الألباني
سلسلة الأحاديث الصحيحة	الألباني
غريب الحديث	ابن قتيبة
غريب الحديث	ابن الجوزي
غريب الحديث	الهروي
النهاية في غريب الحديث	ابن الأثير
غريب الحديث	لأبي إسحق الحربي
تقريب التهذيب	ابن حجر العسقلاني
إباحة المدينة وحريق الكعبة	د. حمد العرينان
مشكاة المصابيح	ولي الدين الخطيب العمري
ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير	عوني الشريف
معالم مكة	البلادي
الإلمام	للنويري
تفسير القرطبي	القرطبي
معجم البلدان	ياقوت
تفسير الآلوسي	الآلوسي
فيض القدير	المناوي
قلب جزيرة العرب	فؤاد حمزة

الكتاب	المؤلف
لسان العرب	لابن منظور
زبدة التفسير	محمد الأشقر
مختار الصحاح	الرازي
إتحاف الورى	ابن فهد
تفسير ابن كثير	ابن كثير
أسماء الكعبة المشرفة	المكي
فتح الباري (١-١٣)	ابن حجر العسقلاني
أخبار الكرام	الأسدي
تاريخ مكة	السباعي
فقه السيرة	البوطي
مراعاة المفاتيح	للمباركفوري
النكت والعيون	الماوردي
فتح القدير	الشوكاني
تاريخ مدينة جدة	عبد القادر بن أحمد بن فرج